فابى فضربوه بالمعول فى راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا
الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك
فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا
من البحر امثال الخطاطيف مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال
الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم
اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذى جاوا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب
ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل
الا ردينى ركابنا ردينا * نعمناكم على الهجران عينا * فانك لو رايت ولن تريه * لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا * وكلهم يسايل عن نفيل * كان على للحبشان دينا
وخرج القوم وهاج بعضهم فى بعض يتساقطون بطريق مكة ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة
داء فى جسده فجعل يتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ
الطير فيمن بقى من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل
ولم يشجع على الحرم فنجى والفيل الاخر شجع فحصب اى رموا بالحصى وقال بعضهم ابو يكسوم
وزير ابرهة وتبعه طير فحلق فوق راسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر
من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى وفى ذلك يقول امية بن ابى الصلت * ان ايات ربنا ساطعات *
ما يمارى فيهن الا الكفور * حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور * روى عن عايشة
رضى الله عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه بمكة اعميين يستطعمان وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب
الى جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فدنوا الى ساحل البحر وثم
بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف
فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم
الكعبة وقال فيه ان كان ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطايف ويشتو بمكة
وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا
عندك هذا يوم لا نستغنى فيه عن رايك فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فقلدها
نعلا واجعلها لله ثم اثبتها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقرون منها شيا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم
ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو
فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه
فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له
جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطى البحر فقال ارمقها
ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤوسنا ثم قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها
ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها
حصا كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر
المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت حتى حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما
توافت الرجال كلهم اهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها

انصاعت

٧١٤

انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا
احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم
فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة
ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا من فوسهم فحفر حتى عمق فى الارض
فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاه ثم قال لابى مسعود هات فاختر ان
شيت حفرتى وان شيت حفرتك وان شيت فهما لك معا فقال ابو مسعود اختر لى على نفسك فقال
عبد المطلب انى لم ارى اجعل اجود المتاع فى حفرتى فهو لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد
المطلب فى الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته
القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهليهما فى غنا من ذلك المال ودفع الله عز وجل
عن كعبته واختلفوا فى تاريخ الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير
انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل ويجعلونه
تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز وجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه
الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان
مستفيضا مشهورا بمكة واذا كان فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى
له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا ثمانية وقيل اثنى
عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الاى
وفى قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ويستحيل فى العقل ان
طيرا ياتى من قبل البحر يحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى
الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصرة من اراد بعثه وهو محمد صلى
الله عليه وسلم الداعى الى دين حق واهلاك من يحط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا
لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك النصر محمدا صلى الله عليه وسلم
وكانه تعالى قال انا الذى فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك فكيف
تركك بعد ظهورك الم يجعل كيدهم يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة فى تضليل اى فى تضييع
وخسار وابطال لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم
عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا هو قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل يعنى طيرا كثيرة
متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظه وقيل
واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير
واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر
لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا من كل طاير ثلاثة احجار حجران فى رجليه
وحجر فى منقاره لا تصيب شيا الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه
الطير انه كان فى هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل
واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم قوله عز وجل ترميهم بحجارة قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم

Copyright © King Saud University